

# البراء

## عناصر الموضوع

٨	مفهوم البراء
٩	البراء في الاستعمال القرآني
١٠	الألفاظ ذات الصلة
١٢	البراءة في حق الله تعالى
١٥	براءة الأنبياء والصالحين من أقوامهم
٢٠	براءة الشيطان من أتباعه
٢٢	من صور البراءة يوم القيامة
٢٣	الأسلوب القرآني في عرض البراء
٢٧	ما يُتبرأ منه
٢٩	ثمرات البراءة ونتائجها

## مفهوم البراء

## أولاً: المعنى اللغوي:

برأ: الباء، والراء، والهمزة: يدل على أصلين في اللغة إليهما ترجع فروع الباب < أحدهما: الخلق، يقال: برأ الله الخلق يبرؤهم براءً، والبارئ: الله جل ثناؤه، ومنه قوله تعالى: ﴿فَتَوَبُّوا إِلَىٰ بَارِيكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤].

والأصل الآخر: التباعد عن الشيء، يدل على التبرؤ، والتخلص، والتزهر، والتباعد، والتنصل والتزائل، وغير ذلك.

والبراء: مصدر برئت<sup>(١)</sup>؛ ولأنه مصدر فلا يجمع ولا يثنى ولا يؤنث، فتقول: رجلٌ براء، ورجلان براء، ورجالٌ براء، وامرأة براء<sup>(٢)</sup>، وقوله تعالى: ﴿بِرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [التوبة: ١]. أي: إعدار وإنذار وتزهر<sup>(٣)</sup>، وليلة البراء: ليلة يتبرأ القمر من الشمس، وهي أول ليلة من الشهر<sup>(٤)</sup>.

## ثانياً: المعنى الاصطلاحي:

لقد عرف العلماء البراء اصطلاحاً بتعريفات عديدة منها: «هو البعد، والخلاص، والعداوة بعد الإعدار والإنذار»<sup>(٥)</sup>. «بغض أعداء الله من المنافقين وعموم الكفار، وعداوتهم، والبعد عنهم، وجهاد الحربين منهم بحسب القدرة»<sup>(٦)</sup>.

«بغض الطواغيت التي تعبد من دون الله تعالى (من الأصنام المادية والمعنوية: كالأهواء والآراء)، وبغض الكفر (بجميع ملله) وأتباعه الكافرين، ومعاداة ذلك كله»<sup>(٧)</sup>.

(١) انظر: المقصور والممدود، الفراء ص ٢٦، المقصور والممدود، أبو علي القالي ص ٣٥٩.

(٢) انظر: المصدرين السابقين، تهذيب اللغة، الأزهرى ٢٦٩/١٥.

(٣) انظر: أيسر التفاسير، الجزائري ٢/ ٣٣٦.

(٤) انظر: لسان العرب، ابن منظور ١/ ٣٢، مقاييس اللغة، ابن فارس ١/ ٢٣٦، مختار الصحاح، الرازي، ص ٤٥، القاموس المحيط ١/ ٨.

(٥) الولاء والبراء في الاسلام، القحطاني ص ٩٠.

(٦) تسهيل العقيدة الإسلامية، الجبرين ص ٥٥٢.

(٧) الولاء والبراء بين الغلو والجفاء، حاتم الشريف ص ١٣.

## البراء في الاستعمال القرآني

وردت مادة (برأ) في القرآن الكريم (٣١) مرة، وما يخص منها موضوعنا (٢٣) مرة<sup>(١)</sup>.  
والصيغ التي وردت هي:

المثال	عدد المرات	الصيغة
﴿ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَتَيْنَا لَنَا كَرَّةً فَنَتَّبَرًا مِّمَّنْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا ﴾ [البقرة: ١٦٧]	٥	الفعل الماضي
﴿ وَمَا أَتَرَيْتُ نَفْسِي ﴾ [يوسف: ٥٣]	٢	الفعل المضارع
﴿ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَّاءُ مِنْكُمْ ﴾ [المتحنة: ٤]	١٢	الاسم
﴿ بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [التوبة: ١]	٣	المصدر
﴿ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ﴾ [النور: ٢٦]	١	اسم المفعول

وجاء البراء في الاستعمال القرآني بمعناه اللغوي، وهو المفارقة والتباعد من الشيء ومزايلته<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: المعجم الشامل لألفاظ القرآن الكريم، عبدالله جلغوم، ص ٣١٤.  
(٢) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس ١/ ٢٣٦، مختار الصحاح، الرازي ص ٣١.

## الألفاظ ذات الصلة

### ١ البراءة:

البراءة لغةً:

مصدر (بريء) إذا تنزه وتباعد، وبريء إذا أعذر وأندر، ومنه قوله تعالى: ﴿بِرَاءةٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ قال ابن الأعرابي: بريء إذا تخلص من عهدة الرد به<sup>(١)</sup>.

البراءة اصطلاحًا:

لا يختلف المعنى الاصطلاحي عن المعنى اللغوي، بل ينحدر منه.

الصلة بين البراء وبراءة:

لا يوجد فرق فهما بنفس المعنى، بل إن لفظة البراءة من اشتقاقات لفظة (برأ)، ويتضح ذلك من خلال تعريف البراء.

### ٢ الترك:

الترك لغةً:

بمعنى التخلية عن الشيء، أي: البعد عنه، وترك الأمر، أي: طرحه وأهمله<sup>(٢)</sup>، وهذا المعنى مشابه لمعنى البراء إلى حد كبير.

الترك اصطلاحًا:

لا يختلف المعنى الاصطلاحي عن المعنى اللغوي.

الصلة بين الترك والبراء:

هناك تشابه إلى حد كبير مع مصطلح البراء، فالبراء يشتمل على معنى المفارقة والتجنب والإهلاك والامتحان.

### ٣ الولاء:

الولاء لغةً:

القرب والدنو والمحبة والنصرة<sup>(٣)</sup>، قال الراغب الأصفهاني: «ولي: الولاء والتوالي: أن

(١) انظر: لسان العرب، ٣٣/١، وذكر ذلك أيضًا الأزهرى في تهذيب اللغة ٢٦٩/١٥.

(٢) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس ٣٤٥/١.

(٣) انظر: لسان العرب، ابن منظور ٤٠٥/٩، مقاييس اللغة، ابن فارس، ص ١١٠٣، مختار الصحاح، الرازي، ص ٣٧٦، القاموس المحيط، الفيروزآبادي ٤٠١/٤.

يحصل شيان فصاعداً حصولاً ليس بينهما ما ليس منهما، ويستعار ذلك للقرب من حيث المكان، ومن حيث النسبة، ومن حيث الدين، ومن حيث الصداقة والنصرة والاعتقاد، والولاية: النصره<sup>(١)</sup>.

الولاء اصطلاحاً:

التقرب إلى الله عز وجل والنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالمحبة والنصرة والطاعة، وغير ذلك من مظاهر الولاء<sup>(٢)</sup>.

الصلة بين الولاء والبراء:

معنى الولاء يأتي على التقيض تماماً من معنى البراء، فالبراء يعني البعد والطرح والبغض، أما الولاء فيعني القرب والحب والنصرة

(١) المفردات، الراغب الأصفهاني، ص ٥٣٤.

(٢) انظر: الولاء والبراء في الإسلام، القحطاني ص ٨٧.

البراءة في حق الله تعالى

أولاً: براءة الله عز وجل من المشركين:

قال تعالى: ﴿بِرَاءةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ١].

والمعنى: إلى الذين عاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من المشركين؛ لأن العهود بين المسلمين والمشركين عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، لم يكن يتولى عقدها إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم أو من يعقدها بأمره، ولكنه خاطب المؤمنين بذلك لعلمهم بمعناه، وأن عقود النبي صلى الله عليه وسلم على أمته كانت عقودهم؛ لأنهم كانوا لكل أفعاله فيهم راضين، ولعقوده عليهم مسلمين، فصار عقده عليهم كعقودهم على أنفسهم، فلذلك قال: ﴿إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، لما كان من عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده (١).

وقد جاء قوله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ تَحْتَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة: ٣].

معطوفاً على قوله تعالى: ﴿بِرَاءةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾

وموقع لفظ (أذان) كموقع لفظ (براءة) في التقدير، وهذا إعلام المشركين الذين

(١) جامع البيان، الطبري ١٤ / ٩٦.

لهم عهد بأن عهدهم انتقض (٢)، وكما أن هذه الآية تقرر حكماً شرعياً، والمشروع هو الله أضيف صدور البراءة إليه سبحانه، وعطف عليه الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا المقام؛ لأنه هو المبلغ عنه، والمنفذ لما يبلغه (٣).

قال الامام الرازي: «لقاتل أن يقول: لا فرق بين قوله: ﴿بِرَاءةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ وبين قوله: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾، فما الفائدة في هذا التكرير؟

والجواب عنه من وجوه:

الوجه الأول: أن المقصود من الكلام الأول الإخبار بثبوت البراءة، والمقصود من هذا الكلام إعلام جميع الناس بما حصل وثبت.

والوجه الثاني: أن المراد من الكلام الأول البراءة من العهد، ومن الكلام الثاني البراءة التي هي نقيض الموالاة الجارية مجرى الزجر والوعيد، والذي يدل على حصول هذا الفرق أن في البراءة الأولى بريء إليهم، وفي الثانية: بريء منهم، والمقصود أنه تعالى أمر في آخر سورة الأنفال المسلمين بأن يوالي بعضهم بعضاً، ونبه به على أنه يجب عليهم أن لا يوالوا

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور ١٠ / ١٠٧.

(٣) انظر: التفسير الوسيط، طنطاوي ٦ / ١٩٦.

بني إسرائيل فقالوا: ما يستتر هذا التستر، إلا من عيب بجلده: إما برص وإما أدرة<sup>(٢)</sup>: وإما آفة، وإن الله أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى، فخلا يوماً وحده، فوضع ثيابه على الحجر، ثم اغتسل، فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها، وإن الحجر عدا بثوبه، فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر، فجعل يقول: ثوبي حجر، ثوبي حجر، حتى انتهى إلى ملأ من بني إسرائيل، فأرأه عرياناً أحسن ما خلق الله، وأبرأه مما يقولون، وقام الحجر، فأخذ ثوبه فلبسه، وطفق بالحجر ضرباً بعضاه، فوالله إن بالحجر لندباً من أثر ضربه، ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً، فذلك قوله: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً﴾ [الأحزاب: ٦٩]<sup>(٣)</sup>.

قال ابن عاشور: «معنى ﴿برأه﴾ أظهر براءته عياناً؛ لأن موسى كان بريئاً مما قالوه من قبل أن يؤذوه بأقوالهم، فليس وجود البراءة منه متفرعة على أقوالهم، ولكن الله أظهرها عقب أقوالهم، فإن الله أظهر براءته من التغيرير بهم إذ أمرهم بدخول أريحا،

(٢) الأدرة: بالضم: نفخة في الخصى؛ يقال: رجلٌ أدر بين الأدر.  
انظر: القاموس المحيط، الفيروزآبادي ص ٣٤٢، لسان العرب، ابن منظور ٤/١٥، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ١/١٠.  
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام، رقم ٣٤٠٤، ٤/١٥٦.

الكفار وأن يتبرءوا منهم، فهنا بين أنه تعالى كما يتولى المؤمنين فهو يتبرأ عن المشركين ويذمهم ويلعنهم، وكذلك الرسول؛ ولذلك أتبعه بذكر التوبة المزيلة للبراءة.

والوجه الثالث: في الفرق أنه تعالى في الكلام الأول، أظهر البراءة عن المشركين الذين عاهدوا ونقضوا العهد، وفي هذه الآية أظهر البراءة عن المشركين من غير أن وصفهم بوصف معين؛ تنبيهاً على أن الموجب لهذه البراءة كفرهم وشركهم<sup>(١)</sup>.

ثانياً: تبرأه الله لموسى عليه السلام:

قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً﴾ [الأحزاب: ٦٩]

لقد حكى القرآن الكريم ألواناً من إيذاء بني إسرائيل لموسى عليه السلام، ومن ذلك قولهم له: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: ٥٥].

وقولهم: ﴿قَالُوا يَنْمُوسَى أَجْعَلْ لَنَا إِلهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨].

ومن إيذائهم له عليه السلام ما رواه الإمام البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن موسى كان رجلاً حياً ستيراً، لا يرى من جلده شيء استحياء منه، فأذاه من آذاه من

(١) مفاتيح الغيب، الرازي ١٥/٥٢٦.

لأنه قد ذكر كل ذلك أنهم قد آذوه به، ولا قول في ذلك أولى بالحق مما قال الله إنهم آذوا موسى، فبرأه الله مما قالوا»<sup>(٣)</sup>.

فثبت قلوبهم وافتتحوها، وأظهر براءته من الاستهزاء بهم إذ أظهر معجزته حين ذبحوا البقرة التي أمرهم بذبحها فتبين من قتل النفس التي ادارأوا فيها، وأظهر سلامته من البرص والأدرة حين بدالهم عرياناً لما انتقل الحجر الذي عليه ثيابه. ومعنى: ﴿فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا﴾ براه من مضمون قولهم لا من نفس قولهم؛ لأن قولهم قد حصل وأوذي به، وهذا كما سموا السبة القالة»<sup>(١)</sup>.

واختتام الآية بقوله تعالى: ﴿وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً﴾ توضح سبب عناية الله عز وجل بتبرئة نبيه موسى عليه السلام، والوجيه: هو صاحب الجاه والمكانة، فكانت لموسى عليه السلام مكانة عظيمة عند الله تعالى، وهذا تسفيه للذين آذوه بأنهم آذوه بما هو مبرأ منه، وتنويه وتوجيه لتتزيه الله إياه بأنه مستحق لتلك التبرئة؛ لأنه وجيه عند الله تعالى<sup>(٢)</sup>.

وأولى الأقوال وأصوبها في قضية تبرئة موسى عليه السلام ما قاله الإمام الطبري: «أن يقال: إن بني إسرائيل آذوا نبي الله ببعض ما كان يكره أن يؤذى به، فبرأه الله مما آذوه به، وجائز أن يكون ذلك كان قيلهم: إنه أبرص، وجائز أن يكون كان ادعاءهم عليه قتل أخيه هارون، وجائز أن يكون كل ذلك؛

(١) التحرير والتنوير ٢٢ / ١٢١.

(٢) انظر: تفسير السمرقندي ٣ / ٧٦.

(٣) جامع البيان ٢٠ / ٣٣٥.

وما دام هذا السبب قائماً، كانت العداوة قائمة، حتى إن أزالوه وآمنوا بالله وحده، انقلبت العداوة موالاة، والبغضاء مودة، والمقت محبة، فأفصحوا عن محض الإخلاص»<sup>(٢)</sup>.

فيوضح القرآن الكريم كيف أعلن إبراهيم عليه السلام والمؤمنون معه بكل شجاعة وشدة، إيمانهم الكامل بالحق، وبراءتهم وكراهيتهم واحتقارهم، لكل من أشرك مع الله عز وجل في العبادة آلهة أخرى، وأنهم لم يكتفوا بالتغيير القلبي للمنكر، بل جاهرُوا بعداوتهم له، وبالتنزه عن اقترابهم منه<sup>(٣)</sup>.

وفي موضع آخر يعلن إبراهيم عليه السلام براءته من شرك قومه صراحة، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَى السَّمْسَ بَارِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يُغَوِّرُ إِلَهِي بَرِيءٌ مِمَّا تَشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ٧٨].

قال الإمام الطبري: « فلما رأى إبراهيم الشمس طالعة، قال: هذا الطالع ربي، ﴿هَذَا أَكْبَرُ﴾، يعني: هذا أكبر من الكوكب والقمر ﴿فَلَمَّا أَفَلَتْ﴾، يقول: فلما غابت، قال إبراهيم عليه السلام لقومه: ﴿يُغَوِّرُ إِلَهِي بَرِيءٌ مِمَّا تَشْرِكُونَ﴾ أي: من عبادة الآلهة والأصنام ودعائه إلهًا مع الله تعالى»<sup>(٤)</sup>.

## براءة الأنبياء والصالحين من أقوامهم

أولاً: براءة إبراهيم عليه السلام والمؤمنين معه:

قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَّاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ﴾ [المستحنة: ٤].

والمعنى: قد كان لكم - أيها المؤمنون - أسوة حسنة، وخصلة حميدة، ومنقبة كريمة، في قصة أبيكم إبراهيم عليه السلام، وفي قصة الذين آمنوا معه، وقت أن قالوا لقومهم الكافرين، بشجاعة وقوة: إنا براء منكم، ومن آلهتكم التي تعبدونها من دون الله عز وجل، وإنا قد كفرنا بكم وبمعبوداتكم، وظهر بيننا وبينكم العداوة والبغض على سبيل التأييد والاستمرار، ولن نتخلى عن ذلك معكم، حتى تؤمنوا بالله - تعالى وحده -، وتتركوا عبادتكم لغيره تعالى<sup>(١)</sup>.

قال صاحب الكشاف: «لقد كان في إبراهيم ومن آمن معه مذهب حسن مرضي، جدير بأن يؤتسى به، ويتبع أثره، وهو قولهم لكفار قومهم ما قالوا، حيث كاشفوههم بالعداوة، وقشروا لهم العصا، وأظهروا لهم البغضاء والمقت، وصرحوا بأن سبب عداوتهم وبغضاتهم، ليس إلا كفرهم بالله،  
(١) انظر: التفسير المنير، الزحيلي ٢٨ / ١٢٨.

(٢) الكشاف، الزمخشري ٤ / ٥١٤.

(٣) انظر: مختصر تفسير ابن كثير ٢ / ٤٨٢.

(٤) جامع البيان، الطبري ١١ / ٤٨٧.



﴿لَا تُظْهِرُونَ﴾ [هود: ٥٣-٥٥].

بعد أن دعا نبي الله هود عليه السلام قومه لعبادة الله وحده، وحذرهم من الإعراض عنه سبحانه، وناداهم بلفظ: -يا قوم- ثلاث مرات، توددًا إليهم، وتذكيرًا لهم بأصرة القرابة التي تجمعهم وإياه؛ لعل ذلك يستثير مشاعرهم، ويحقق اطمئنانهم إليه، كان جوابهم: ما جئنا بحجة ويرهان على ما تدعيه أنك رسول من عند الله، ولن نترك عبادة آلهتنا بمجرد قولك: اتركوهم، وما نحن لك بمصدقين، فكان جوابهم متضمنًا أربعة أشياء كلها عناد وحمافة واستكبار، وهي المطالبة بالبينة والإصرار على عبادة الآلهة.

قوله تعالى: ﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْرَنَّاكَ بَعْضُ آلهَتِنَا يَسُوءُ﴾ قال الامام الزمخشري فيها ما ملخصه «أي: مسك بجنون لسبك إياها، وصدك عنها، وعداوتك لها، مكافأة لك منها على سوء فعلك بسوء الجزاء، فمن ثم صرت تتكلم بكلام المجانين وتهذي بهذيان المبرسمين»<sup>(٢)</sup>.

ثم قال: «وقد دلت ردودهم المتقدمة على أن القوم كانوا جفاة غلاظ الأكباد، لا يبالون بالبهت، ولا يلتفتون إلى النصح، ولا

(٢) البرسام: أي بكسر الموحدة سرياني معربٌ أطلق على اختلال العقل وعلى ورم الرأس وعلى ورم الصدر.

انظر: فتح الباري، ابن حجر ١/ ٣٣٨.

يقول نوح عليه السلام لقومه: إن كان قد شق عليكم وعظم قيامي معكم للدعوة إلى عبادة ربكم، وتذكيري ووعظي إياكم بآيات الله أي بحججه وبراهينه الدالة على وحدانيته وعبادته، فإني توكلت على الله وحده ووثقت به، فلا أبالي ولا أكف عن دعوتي ورسالتي، سواء عظم عليكم أو لا، فأجمعوا أمركم، أي اعزموا على ما تريدون من أمر تفعلونه بي، أنتم وشركاؤكم الذين تعبدونهم من دون الله من صنم ووثن، ولا تجعلوا أمركم الذي تعتزموه خفيًا ملتبسًا عليكم، بل أظهره لي، وتبصروا فيه، وافصلوا حالكم معي، فإن كنتم تزعمون أنكم محقون فاقضوا إلى ذلك الأمر ونفذوه بالفعل، ولا تؤخروني ساعة واحدة عن تنفيذ هذا القضاء، فمهما قدرتم فافعلوا، فإني لا أبالي بكم ولا أخاف منكم لأنكم لستم على شيء<sup>(١)</sup>.

ثالثًا: براءة هود عليه السلام:

قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا هُوْدُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِشَارِكِي آلهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْرَنَّاكَ بَعْضُ آلهَتِنَا يَسُوءُ قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ بِاللَّهِ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِنْ دُونِهِ فَكَيْدُوْنِي جَمِيْعًا

(١) انظر: فتح القدير، الشوكاني ٢/ ٥٢٤.

في حفطي، فهو على كل شيء قدير<sup>(٢)</sup>.  
ويمكننا أن نخلص إلى أن رد هود عليه  
السلام على قومه تضمن عدة أمور وهي:  
التحدي والمعجزة الباهرة، وقلة المبالاة  
بهم وبتهديدهم، والبراءة من شركهم،  
وإشهاد الله على ذلك، وإشهادهم على  
براءته من شركهم، وطلبه المكايدة له،  
وإظهار قلة المبالاة بهم، وعدم خوفه منهم  
ومن آلهتهم.

رابعًا: براءة رسول الله صلى الله عليه  
وسلم:

قال تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ  
شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ  
بِهِ وَمَنْ يَبْلُغْ إِلَيْكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً  
أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَوَحْدٌ وَإِنِّي بِرَبِّي  
مُتَّشِرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٩].

قال الإمام الطبري: «يقول تعالى ذكره  
لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل لهؤلاء  
المشركين، الجاحدين نبوتك، العادلين  
بالله، ربًا غيره: ﴿أَيْتَكُمْ﴾، أيها المشركون  
﴿لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَى﴾، يقول:  
تشهدون أن معه معبودات غيره من الأوثان  
والأصنام»<sup>(٣)</sup>.

تلين شكيمتهم للرشد، وهذا الأخير دال  
على جهل مفرط، وبله متناه، حيث اعتقدوا  
في حجارة أنها تنتصر وتتقم...»<sup>(١)</sup>.

وبعد أن استمع هود عليه السلام  
إلى ردودهم القبيحة، فما كان منه إلا أن  
يقف منهم موقف المتبريء من شركهم،  
والمتحدي لطغيانهم، والمعتمد على  
الله - تعالى وحده - في الانتصار عليهم،  
ولقد حكى القرآن رده عليهم فقال: ﴿قَالَ  
إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُ وَأَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾  
أي: أشهد الله على نفسي وأشهدوا علي أنني  
بريء من شرككم ومن عبادة الأصنام، ولا  
يعني هذا أنهم كانوا أهلًا للشهادة، ولكنه  
نهاية للتقرير، أي لتعرفوا، ولم يقل: (إني  
أشهد الله وأشهدكم) لثلاثي يفيد التشريك بين  
الشهادتين والتسوية بينهما؛ فإن إشهاد الله  
على البراءة من الشرك إشهاد صحيح ثابت  
في معنى تثبيت التوحيد، وأما إشهادهم  
فما هو إلا تهاون بدينهم، ودلالة على قلة  
المبالاة بهم، وإذا كنت بريئًا من جميع  
الأنداد والأصنام، أي مما تشركون من دون  
الله، فإني أعلن ذلك صراحة، فاجمعوا كل  
ما تستطيعون من أنواع الكيد لي، جميعًا أي  
أنتم وآلهتكم، ولا تمهلوني طرفة عين، إني  
فوضت أمري كله لله ربي وربكم، ووكلته

(٢) انظر: جامع البيان، الطبري ١٥ / ٣٦٠، إرشاد  
العقل السليم، أبو السعود ٤ / ٢١٨، لباب  
التأويل، الخازن ٢ / ٤٨٩.  
(٣) جامع البيان ١١ / ٢٩٢.

(١) الكشاف ٢ / ٤٠٣.

عملكم، ولا يضركم عملي، وإنما يجازى كل عامل بعمله ﴿عَمَلَكُمْ أَنْتُمْ بَرِيْتُونَ مِمَّا أَعْمَلْتُمْ﴾، لا تؤاخذون بجريته ﴿وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ لا أؤخذ بجريرة عملكم<sup>(٢)</sup>.

قال ابن تيمية: «فقد أمره الله أن يتبرأ من عمل كل من كذبه وتبريه هذا يتناول المشركين وأهل الكتاب»<sup>(٣)</sup>.

فقد أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم في هذه الآية الكريمة، أن يظهر البراءة من أعمال الكفار القبيحة إنكاراً لها، وإظهاراً لوجوب التباعد عنها، وبين هذا المعنى في سورة الكافرون<sup>(٤)</sup>.

ومن الآيات التي تحدثت عن تهديد النبي صلى الله عليه وسلم لعشيرته بالبراءة، قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾<sup>(٥)</sup> وَخُفِّضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٣١٦﴾ [الشعراء: ٢١٤-٢١٦].

ومعنى هذه الآيات: فإن عصبتك يا محمد صلى الله عليه وسلم عشيرتك الأقربون الذين أمرتك بإنذارهم، وأبوا إلا الإقامة على عبادة الأوثان، والإشراك بالرحمن، فقل لهم: (إني بريء مما تعملون) من عبادة الأصنام ومعصية باري الأنام<sup>(٥)</sup>.

قال الإمام الرازي: «واعلم أن هذا الكلام دال على إيجاب التوحيد والبراءة عن الشرك من ثلاثة أوجه:

أولها: قوله: ﴿قُلْ لَا أَشْهَدُ﴾ أي: لا أشهد بما تذكرونه من إثبات الشركاء.

وثانيها: قوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ اللَّهُ﴾ وكلمة إنما تفيد الحصر، ولفظ الواحد صريح في التوحيد ونفي الشركاء.

وثالثها: قوله: ﴿وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَشْرِكُونَ﴾ وفيه تصريح بالبراءة عن إثبات الشركاء، فثبت دلالة هذه الآية على إيجاب التوحيد بأعظم طرق البيان وأبلغ وجوه التأكيد.

قال العلماء: المستحب لمن أسلم ابتداءً أن يأتي بالشهادتين، ويتبرأ من كل دين سوى دين الإسلام.

ونص الشافعي رحمه الله على استحباب ضم التبري إلى الشهادة؛ لقوله: وإني بريء مما تشركون عقيب التصريح بالتوحيد<sup>(١)</sup>.

ومما يتصل بسياق الآية قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيْتُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ٤١].

قال الإمام الطبري: «وإن كذبتك يا محمد، هؤلاء المشركون، وردوا عليك ما جئتهم به من عند ربك، فقل لهم: أيها القوم، لي ديني وعملي، ولكم دينكم وعملكم، لا يضرني

(١) مفاتيح الغيب ١٢ / ٥٠٠.

(٢) جامع البيان ١٥ / ٩٤.

(٣) مجموع الفتاوى ١٦ / ٥٤٦.

(٤) انظر: أضواء البيان، الشنقيطي ٢ / ١٥٧.

(٥) انظر: جامع البيان، الطبري ١٩ / ٤١١.

### براءة الشيطان من أتباعه

يعتبر الشيطان من ألد الأعداء للإنسان منذ بداية الخليقة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ولقد أخذ الشيطان العهد على نفسه أمام الله عز وجل على إغواء بني آدم وإضلالهم، ولكن يأتي يوم على الشيطان يعلن براءته من الإنسان، وسوف نتعرف على بعض المواقف التي يتبرأ فيها الشيطان من أتباعه:

أولاً: براءة الشيطان من المشركين في بدر:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَآتِ الْفِتْنَانَ نَكَصَ عَلَى عَقْبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٤٨].

ألقى الشيطان في روع المشركين أنهم لا يغلبون لكثرة عددهم، وعددهم، وأوهمهم أن اتباعهم إياه فيما يظنون أنها قربات تجعله مجيراً لهم، وحافظاً إياهم عن السوء حتى قالوا: اللهم انصر أهدي الفتتين، وأفضل الدينين، ولكن حينما التقت الفتتان، فئة المؤمنين وفئة المشركين ولى الشيطان مدبراً وقال للكافرين: ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ﴾ أي: من عهدكم وجواركم ونصرتكم، إنني أرى

وهذه الآية تفريع على قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ أي: فإن عصوا أمرك المستفاد من الأمر بالإنذار، أي: فإن عصاك عشيرتك فما عليك إلا أن تتبرأ من عملهم، فالتبرؤ إنما هو من كفرهم، وإنما أُمِرَ أن يقول لهم ذلك؛ لإظهار أنهم أهلٌ للتبرؤ من أعمالهم، فلا يقتصر على إضمار ذلك في نفسه<sup>(١)</sup>.

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور ١٩/ ٢٠٣.

وأمرهم بأن يلوموا أنفسهم؛ لأنهم هم الذين قبلوا الباطل البحت الذي لا يلتبس بطلانه على من له أدنى عقل، ثم أوضح لهم بأنه لا نصر عنده ولا إغاثة، بل هو مثلهم في الوقوع في البلية، ثم صرح لهم بأنه قد تبرأ مما اعتقدوه فيه وأثبتوه له، وهو إشراكه مع الله تعالى فتضاعفت عليهم الحسرات، وتوالت عليهم المصائب<sup>(٢)</sup>.

من الملائكة النازلة لتأييد المؤمنين ما لا ترونه أنتم، إني أخاف الله أن يعذبني قبل يوم القيامة، أو إني أخاف الله أن يصيبني بمكروه من قبل ملائكته<sup>(١)</sup>.

ثانياً: براءة الشيطان ممن دعاهم للكفر يوم القيامة:

قال تعالى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ لِقَىٰ وَعَدْتُمْ فَأَخْلَفْتُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنَا بِمُصْرِخِيكُمْ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

لقد قام الشيطان للكافرين في هذا اليوم مقاماً يقصم ظهورهم، ويقطع قلوبهم، فأوضح لهم أن مواعيده التي كان يعدهم بها في الدنيا باطلة معارضة لوعده الحق من الله تعالى وأنه أخلفهم ما وعدهم به، ثم أوضح لهم بأنهم قبلوا قوله بما لا يتفق مع العقل؛ لعدم الحجة التي لا بد للعاقل منها في قبول قول غيره، ثم أوضح لهم بأنه لم يكن منه إلا مجرد الدعوة العاطلة عن البرهان، الخالية عن أي شيء مما يتمسك به العقلاء، ثم نعى عليهم ما وقعوا فيه، ودفع لومهم له،

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور ١٠ / ٣٤. (٢) انظر: معالم التنزيل، البغوي ٤ / ٣٤٥.



## الأسلوب القرآني في عرض البراء

نزل القرآن بلسان عربي مبين، على أفصح العرب وأقومهم لساناً، وكان القرآن الكريم هو المعجزة الكبرى للرسول صلى الله عليه وسلم حيث تحداهم الله أن يأتوا بمثله، بل أن يأتوا بسورة منه، فهذا القرآن المعجزة يقف المسلم أمامه منبهراً، بين الإعجاز وبين سلاسة الأسلوب وسهولة العبارة، وستتعرف على أسلوب القرآن الكريم في عرض موضوع البراء.

## أولاً: أسلوب الطلب:

أساليب الطلب في اللغة تأتي على عدة صور، منها:

١. صيغة الأمر.

قال تعالى: ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنَّي بِرَبِّي مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [الشعراء: ٢١٦].

أي: إن أبوا قبول دعوتك إلى التوحيد، ورفضوا ما تدعوهم إليه، فأخبرهم يا محمد صلى الله عليه وسلم بأنك بريء مما يعملون<sup>(٢)</sup>.

قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ① لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ② وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ③ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ ④ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ⑤ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينٌ﴾

أي أن الله يظهر لهم أن أعمالهم كان لها أسوأ الأثر في نفوسهم؛ لما ورثته فيها من حسرة وشقاء وخسران، فهي تذهب وتضمحل، ولن يخرجوا من النار إلى الدنيا لشفاء كيدهم وغيظهم من رؤسائهم، وهذا ما يؤكد قوله تعالى: ﴿وَمَا هُمْ بِيُخْرِجِينَ مِنْ النَّارِ﴾ أي: أنهم خالدون في النار ولن يخرجوا منها أبداً<sup>(١)</sup>.

(٢) انظر: أيسر التفاسير، الجزائري ٦٨٧/٣.

(١) انظر: تفسير الشعراوي، ٦٩٦/٢.

[الكافرون ١-٦].

٢. صيغة النهي.

قال تعالى: ﴿يَتَّابِعُ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا  
عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [المستحنة: ١].

أي: يا أيها المصدقون بالله تعالى  
ورسوله صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا  
عدوي وعدوكم أنصارًا وأصدقاءً وأعوانًا  
لكم، بل لا بد أن تتبرؤوا منهم ومن  
أعمالهم<sup>(٣)</sup>.

وبنفس المعنى في قوله تعالى: ﴿يَتَّابِعُ  
الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ  
أَوْلِيَاءَ إِنْ اسْتَجَبُوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ﴾  
[التوبة: ٢٣].

ثانيًا: أسلوب الخبر:

قال تعالى: ﴿قَالَ يَنْفَرُ لِي بَرِيءٌ مِّمَّا  
كُفِّرُونَ﴾ [الأنعام: ٧٨].

بعدما تعرف إبراهيم عليه السلام على  
الإله الحق، أخبر قومه بأنه بريء من كل  
الآلهة التي يعبدونها من دون الله تعالى<sup>(٤)</sup>.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَأَتْهُ الْفِتْيَانُ  
نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ﴾  
[الأنفال: ٤٨].

أي: فلما رأى إبليس الملائكة ﴿نَكَصَ  
عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ﴾<sup>(٥)</sup>.

والمعنى: قل يا محمد صلى الله عليه  
وسلم: يا أيها الكافرون، لا أعبد على  
الإطلاق ما تعبدون من الأصنام والأوثان،  
فلست أعبد آلهتكم بأية حال، والآية تشمل  
كل كافر على وجه الأرض، ﴿وَلَا أَنْتُمْ  
عَبِيدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ أي: ولستم أنتم ما دمتم  
على شرككم وكفركم عابدين الله الذي  
أعبد، فهو الله وحده لا شريك له، فهذه  
الآيات تنفي الاتحاد في العبادة، والمقصود  
من ذلك المبالغة التامة في البراءة من  
معبوداتهم الباطلة، ومن عبادتهم الفاسدة.

فترى السورة الكريمة، قد قطعت كل  
أمل توهم الكافرون عن طريقه الوصول  
إلى مهادة النبي صلى الله عليه وسلم،  
وإلى الاستجابة لشيء من مطالبهم الفاسدة،  
وإنما هو صلى الله عليه وسلم بريء براءة  
تامة منهم ومن معبوداتهم وعباداتهم<sup>(١)</sup>.

قال تعالى: ﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي  
وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيقُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ  
مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ٤١].

أي: أخبرهم بأنهم لا يؤاخذون بعملك  
ولا تؤاخذ أنت بعملهم، فهم بريئون منك  
وأنت بريء منهم<sup>(٢)</sup>.

(٣) انظر: أوضح التفاسير، الخطيب ١/ ٦٨٠.

(٤) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي  
ص ٢٦٢.

(٥) انظر: التفسير الوسيط، محمد طنطاوي

(١) انظر: التفسير الوسيط، محمد طنطاوي  
٥٢٦/١٥.

(٢) انظر: تفسير المراغي ١١/ ١١٠.

ومقابلة الأقوال ومناقشتها حتى تقع الغلبة، فأنا بما تعدنا به من العذاب والهلاك المعجل في الدنيا، إن كنت صادقاً في ادعائك أن الله يعذبنا على عصيانه في الدنيا قبل الآخرة، أجاب نوح قومه عن اتهامه بكثرة الجدل قائلاً: ليس إنزال العذاب أو العقاب بيدي، وليس لي توقيته، وإنما ذلك بيد الله، وهو الآتي به إن شاء وإذا شاء، ولستم من المنعة بحال من يفلت أو يعتصم لشنجوا، وإنما أتم في قبضة القدرة الإلهية، وتحت سلطان الملك الإلهي، وليس نصحي بِنافع، ولا إرادتي الخير لكم مغنية إذا كان الله تعالى قد أراد بكم الإغواء والإضلال والإهلاك، الله ريبكم، أي خالقكم والمتصرف في أموركم، وهو الحاكم العادل الذي لا يجور، وإليه ترجعون في الآخرة، فيجازيكم بما كنتم تعملون في هذا العالم من خير أو شر (٢).

٢. حوار إبراهيم عليه السلام مع أبيه وقومه.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ مَا أَزِدُّكَ فَتَةً إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٦٦﴾ وَكَذَلِكَ نُزِيَ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٦٧﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْإِفْلَاقَ ﴿٦٨﴾

(٢) انظر: التفسير الوسيط، الزحيلي ٢ / ١٠٤٠، تفسير الشعراوي ١١ / ٦٤٤٨.

ومن الأساليب الخبرية ما يكون مؤكداً بيان، كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الزخرف: ٢٦].

أي: بريء مما تعبدون من أصنام لا أعبدها (١).

وبنفس المعنى في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الأنعام: ١٩].

وقوله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ﴿٢٥﴾﴾.

ثالثاً: أسلوب الحوار:

١. حوار نوح عليه السلام مع قومه.

قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا قَالْنَا يَا مَعْزِبُ إِنَّ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٢٣﴾ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفَلَمَّا أَنْفَرْنَا قُلُوبُنَا أَفَأَنْفَرْتَهُ قُلُوبُنَا بَلْ لَبَّيْكَ أَجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [هود: ٣٢-٣٥].

والمعنى: قال قوم نوح له: قد طال منك هذا الجدل، وهو المراجعة في الحجة

رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٤﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَنْقُورُ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٥﴾ [الأنعام: ٧٤ - ٧٥].

والمعنى: اذكر أيها النبي حين قال إبراهيم عليه السلام لأبيه آزر: أتتخذ هذه الأصنام والأوثان الجمادات آلهة، تعبدوها من دون الله، مع أن الله هو الذي خلقها وخلقك، فهو المستحق للعبادة دونها، إني أراك وقومك الذين يعبدون هذه الأصنام في ضلال واضح، أي تائهين حيارى جهلاء، وأي ضلال أوضح من عبادتكم صنما من حجر أو شجر أو معدن، تنحتونه بأيديكم، ثم تعبدونه وتقصدونه، ثم أوضح الله تعالى ما رآه إبراهيم من ملكوت السماوات والأرض، أي تبيان وجه الدلالة في خلقهما على وحدانية الله في ملكه وخلقته، فلما أظلم عليه الليل، رأى كوكبًا عظيمًا متميزًا عن سائر الكواكب بإشراقه ولمعانه، وهو كوكب المشتري أو الزهرة، فقال موهماً قومه في مقام المناظرة والحجاج: هذا ربي، على سبيل الفرض.

فلما غرب هذا الكوكب، قال إبراهيم: ما هذا ياله، ولا أحب ما يغيب ويختفي؛ لأن للإله السيطرة على الكون، فكيف يغيب الإله ويستتر، ثم انتقل إبراهيم من إبطال

ألوهية الكوكب إلى إبطال ألوهية القمر الأكثر إضاءة، فلما رأى القمر بازغًا طالعًا عم ضوءه الأرض، قال: هذا ربي، فلما غاب كما غاب الكوكب في الليلة الماضية، قال إبراهيم مسمعًا قومه: ما هذا أيضًا ياله، ولئن لم يهديني ربي ويوفقني لإصابة الحق في توحيده، لأكونن من القوم الضالين المخطفين الطريق، فلم يصيبوا الهدى، وعبدوا غير الله.

ولما رأى إبراهيم الشمس بازغة طالعة، وهي أعظم الكواكب المرئية لنا، قال إبراهيم: هذا هو الآن ربي، هذا أكبر من الكواكب والقمر قدرًا، وأعظم ضوءًا ونورًا، فلما غابت الشمس كما غاب غيرها، صرح إبراهيم بعقيدته، وتبرأ من شرك قومه، قائلًا: إني توجهت في عبادتي لخالق الأرض والسماء، وخالق هذه الكواكب، إني بريء مما تشركون، باتخاذ إله آخر مع الله، وإنما أعبد خالق هذه الأشياء ومدبرها الذي بيده ملكوت كل شيء، وخالق كل شيء. ومثل إبراهيم لقومه بهذه الأمور؛ لأنهم كانوا أصحاب علم نجوم ونظر في الأفلاك، قال إبراهيم: إني أقبلت بقصدي وعبادتي وتوحيدي وإيماني للذي أبدع السماوات<sup>(١)</sup>.

(١) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، ٧/ ٢٥٩.

بالله، وبريئون من كل ما تعبدون من غير الله من الأصنام والأنداد، فقد جحدنا بما أمتم به من الأوثان، أو بدينكم، أو بأفعالكم، فإن تلك الأوثان لا تنفع شيئاً، فهي لا تعقل ولا تسمع ولا تبصر<sup>(٣)</sup>.

ثانياً: المشركون عامة وذوو الأرحام منهم خاصة:

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ أَسْتَغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤].

لما وعد إبراهيم من أبيه أنه سيؤمن، كان بمنزلة المؤلفلة قلوبهم بالاستغفار له؛ لأنه ظنه متردداً في عبادة الأصنام لما قال له: ﴿وَأَمْحَرْنِي مَلِيئًا﴾ [مريم: ٤٦].

فسأل الله له المغفرة لعله يرفض عبادة الأصنام، ولكن لما علم يقيناً أنه مصرٌّ على الكفر أعلن براءته منه علانية وبشكل صريح في قوله تعالى - كما يدل عليه قوله -: ﴿فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾<sup>(٤)</sup>.

وفي موضع آخر يعلن إبراهيم براءته من قومه عامة ومن أبيه خاصة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٦].

## ما يُتَبَرَّأُ مِنْهُ

أولاً: الأوثان والمعبودون من دون الله:

قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِرْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

الطاغوت: كل ما صرف عن عبادة الله تعالى من إنسان أو شيطان أو غيرهما<sup>(١)</sup>، والمعنى: فمن تبرأ وخلع الأنداد والأوثان وما يدعو إليه الشيطان من عبادة غير الله، وآمن بالله تعالى إيماناً خالصاً صادقاً فقد ثبت أمره واستقام على الطريقة المثلى التي لا انقطاع لها، وأمسك من الدين بأقوى سبب وأحكم رباط<sup>(٢)</sup>.

وفي الموضع التالي يبين الله تعالى سبب براءة إبراهيم عليه السلام والمؤمنين معه من القوم في ذلك الزمان، قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَّاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ﴾ [المتحنة: ٤].

والمعنى: قد كانت لكم قدوة طيبة حميدة تقتدون بها في إبراهيم خليل الرحمن أي الأنبياء والذين آمنوا معه من أتباعه حين قالوا لقومهم: إنا بريئون منكم؛ لكفركم

(٣) انظر: مدارك التنزيل، النسفي ٣/ ٤٦٨.

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٨/ ٢٧٤.

(١) انظر: لسان العرب، ابن منظور ٩/ ١٥، تاج العروس، الزبيدي ٣٨/ ٤٩٥.

(٢) انظر: الجواهر الحسان، الثعالبي ١/ ٥٠٤.

الذين لم يوالوا أعداء الله مهما بلغت درجة قربتهم فقال: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ أي: أولئك الذين لا يوادون أعداء الله، مهما كانوا، هم الذين كتب الله تعالى الإيمان في قلوبهم، فاختلط بها واختلطت به، فصارت قلوبهم لا تحب إلا من أحب دين الله، ولا تبغض إلا من أبغضه (٢).

وقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ إِنَّكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ \* قَدْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٣ - ٢٤].

والمعنى: يا أيها المصدقون بالله ورسوله، لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء تنصرونهم في القتال، وتؤيدون الكفار لأجلهم، أو تطلعونهم على أسرار المسلمين العامة أو الحربية، إن اختاروا الكفر على الإيمان، وأثروا الشرك على الإسلام، ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون لأنفسهم وأمتهم لأنه خالفوا الله ورسوله، بموالة الكافرين بدلاً من التبرؤ منهم، فبعد أن

أي: واذكر أيها الرسول لقومك قريش المعتمدين على تقليد الآباء والأجداد في عبادة الأصنام، حين تبرأ إبراهيم عليه السلام مما يعبد أبوه أزر، وقومه من الأصنام، إلا من عبادة خالقه وخالق الناس جميعاً، والذي قال بأنه سيرشدني لدينه، كما أرشدني في الماضي، وبشيتني على الحق (١).

وقال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رِضَى اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

أي: من شأن المؤمنين الصادقين أن يتعدوا عن موالة أعداء الله ورسوله، ولو كان هؤلاء الأعداء، آباءهم الذين أتوا إلى الحياة عن طريقهم أو أبناءهم الذين هم قطعة منهم، أو إخوانهم الذين تربطهم بهم رابطة الدم أو عشيرتهم التي ينتسبون إليها، بل يجب إعلان البراءة منهم؛ وذلك لأن قضية الإيمان يجب أن تقدم على كل شيء، ثم أثنى سبحانه على هؤلاء المؤمنين الصادقين

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٧٦٥.

(٢) انظر: زاد المسير، ابن الجوزي ٤ / ٢٥١.

## ثمرات البراءة ونتائجها

البراءة هي جزء أساس من عقيدة المسلم، وإذا التزم المسلم بهذه العقيدة فسيكون لها ثمرات ونتائج كثيرة في الدنيا والآخرة، وستتعرف على أهم هذه الثمرات:

أولاً: الفوز بمرضاة الله، والنجاة من سخط الجبار جل جلاله:

ما قال سبحانه: ﴿لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاتِلَةً وَيُحَذِّرْكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْنِئْتُمْ عَنْهُمْ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٣٩].

وبعقيدة البراءة تتحقق أوثق عرى الإيمان: جاء في حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول صلى الله عليه وسلم لأبي ذر رضي الله عنه: (أي عرى الإيمان أوثق)؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال: (الموالاتة في الله، والمعاداة في الله، والحب في الله، والبغض في الله) (٢).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ٤/٢٨٦، والحاكم في المستدرک ٢/٤٨٠، والطبراني في المعجم الكبير ١١/٢١٥. قال الألباني في السلسلة الصحيحة ٩٩٨، ١٧٢٨: «فالحديث بمجموع طرقه يرتقي إلى

نهى عن مخالطتهم، أوضح أن هذا النهي للتحريم لا للتنزيه، بقوله: ﴿وَمَنْ يَتَّخِذْكُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

قال ابن عباس: هو مشرك مثلهم؛ لأنه رضي بشركهم، والرضا بالكفر كفر، كما أن الرضا بالفسق فسق.

ثم أمر تعالى رسوله أن يتوعد من آثر أهله وقرباته وعشيرته على الله ورسوله وجهاد في سبيله، مصدرًا ذلك بكلمة (إن) المفيدة للشك؛ لأن حب الكافرين مشكوك فيه من المؤمنين، والمقصود هو تفضيل حبهم على حب الله، أما أصل الحب فهو أمر فطري طبعي لا لوم عليه، ولا مؤاخذه فيه؛ لأن التكليف يتوجه على الأمور المقدورة للإنسان، لا على الأمور الجبلية الفطرية كالحب والبغض.

فقال له: قل: إن كنتم تؤثرون هذه الأشياء الثمانية، وتفضلون الآباء، والأبناء، والإخوان، والأزواج، والعشيرة (القرباة القريبة) والأموال، والتجارة، والمساكن، على حب الله ورسوله، أي طاعتهما، والجهاد في سبيله الذي يحقق السعادة الأبدية في الآخرة، فانتظروا حتى يأتي الله بعقابه العاجل أو الآجل (١).

(١) انظر: جامع البيان، الطبري ١٤/١٧٧، تفسير النكت والعيون، الماوردي ٢/٣٤٩.



خامساً: تحفظ المسلم من الانقياد للكافرين:

قال جل شأنه: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا قَرِيبًا مِنَ الَّذِينَ آوَأُوا الْكُفْرَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفْرِينَ﴾ [آل عمران: ١٠٠].

يحذر الحق تعالى المؤمنين من إطاعة أهل الكتاب والافتتان بفتنتهم إثر توبيخهم بالإغواء والإضلال ردعاً لهم عن ذلك، وتعليق الرد بطاعة فريق منهم؛ للمبالغة في التحذير عن طاعتهم، وإيجاب الاجتناب عن مصاحبتهم بالكلية، فإنه في قوة أن يقال (لا تطيعوا فريقاً).. الخ كما أن تعميم التوبيخ فيما قبله للمبالغة في الزجر<sup>(٢)</sup>.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [هود: ١١٣].

الركون إلى الشيء: الميل إليه. يقال: ركن فلان إلى فلان، إذا مال إليه بقلبه، واعتمد عليه في قضاء مصالحه<sup>(٣)</sup>.

والمراد بالذين ظلموا هنا: ما يتناول المشركين وغيرهم من الظالمين.

والمعنى: واحذروا -أيها المؤمنون- أن تميلوا إلى الظالمين، أو تسكنوا إليهم؛ لأن ذلك يؤدي إلى تقوية جانبهم، وإضعاف

ورسولهم، ولَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

أي: من شأن المؤمنين الصادقين أن يتعدوا عن موالاته أعداء الله ورسوله، ولو كان هؤلاء الأعداء، آباءهم الذين أتوا إلى الحياة عن طريقهم أو أبناءهم الذين هم قطعة منهم، أو إخوانهم الذين تربطهم بهم رابطة الدم أو عشيرتهم التي يتسبون إليها، بل يجب إعلان البراءة منهم؛ وذلك لأن قضية الإيمان يجب أن تقدم على كل شيء.

ثم أثنى سبحانه على هؤلاء المؤمنين الصادقين الذين لم يوالوا أعداء الله مهما بلغت درجة قربتهم فقال: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ أي: أولئك الذين لا يوادون أعداء الله مهما كانوا، هم الذين كتب الله تعالى الإيمان في قلوبهم، فاختلفت بها واختلطت به، فصارت قلوبهم لا تحب إلا من أحب دين الله، ولا تبغض إلا من أبغضه<sup>(١)</sup>.

(٢) إرشاد العقل السليم، أبو السعود ٢ / ٦٤.

(٣) انظر: تاج العروس ٣٥ / ١٠٩.

(١) انظر: زاد المسير، ابن الجوزي ٤ / ٢٥١.

ذلك سبيل، فالزم هدى الله الذي لجمع الخلق إلى الألفة عليه سبيل»<sup>(٢)</sup>.

جانب الحق والعدل<sup>(١)</sup>.

سادسًا: نبيل ولاية الله:

قال تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ فَمَا لَهُمْ بِالْهُدَىٰ ۗ وَإِنَّ أَوْلَىٰ لَهُمْ بِمَا آتَوْا بِهِمْ بِالَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۗ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠].

قال الإمام الطبري في هذه الآية ما ملخصه: «وليست اليهود، يا محمد، ولا النصارى براضية عنك أبدًا، فدع طلب ما يرضيهم ويوافقهم، وأقبل على طلب رضا الله في دعائهم إلى ما بعثك الله به من الحق، فإن الذي تدعوهم إليه من ذلك لهُو السبيل إلى الاجتماع فيه معك على الألفة والدين القيم. ولا سبيل لك إلى إرضائهم باتباع ملتهم؛ لأن اليهودية ضد النصرانية، والنصرانية ضد اليهودية، ولا تجتمع النصرانية واليهودية في شخص واحد في حال واحدة، واليهود والنصارى لا تجتمع على الرضا بك، إلا أن تكون يهوديًا نصرانيًا، وذلك مما لا يكون منك أبدًا؛ لأنك شخص واحد، ولن يجتمع فيك دينان متضادان في حال واحدة، وإذا لم يكن إلى اجتماعهما فيك في وقت واحد سبيل، لم يكن لك إلى إرضاء الفريقين سبيل. وإذا لم يكن لك إلى

موضوعات ذات صلة:

الإيمان، التوحيد، الشرك، الولاء

(٢) جامع البيان، الطبري، ٥٦٣/٢.

(١) انظر: جامع البيان، الطبري ٥٢٦/١٥.